نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
سلسلة التاريخ الإسلامي
للبراعم المسلمة [٣]

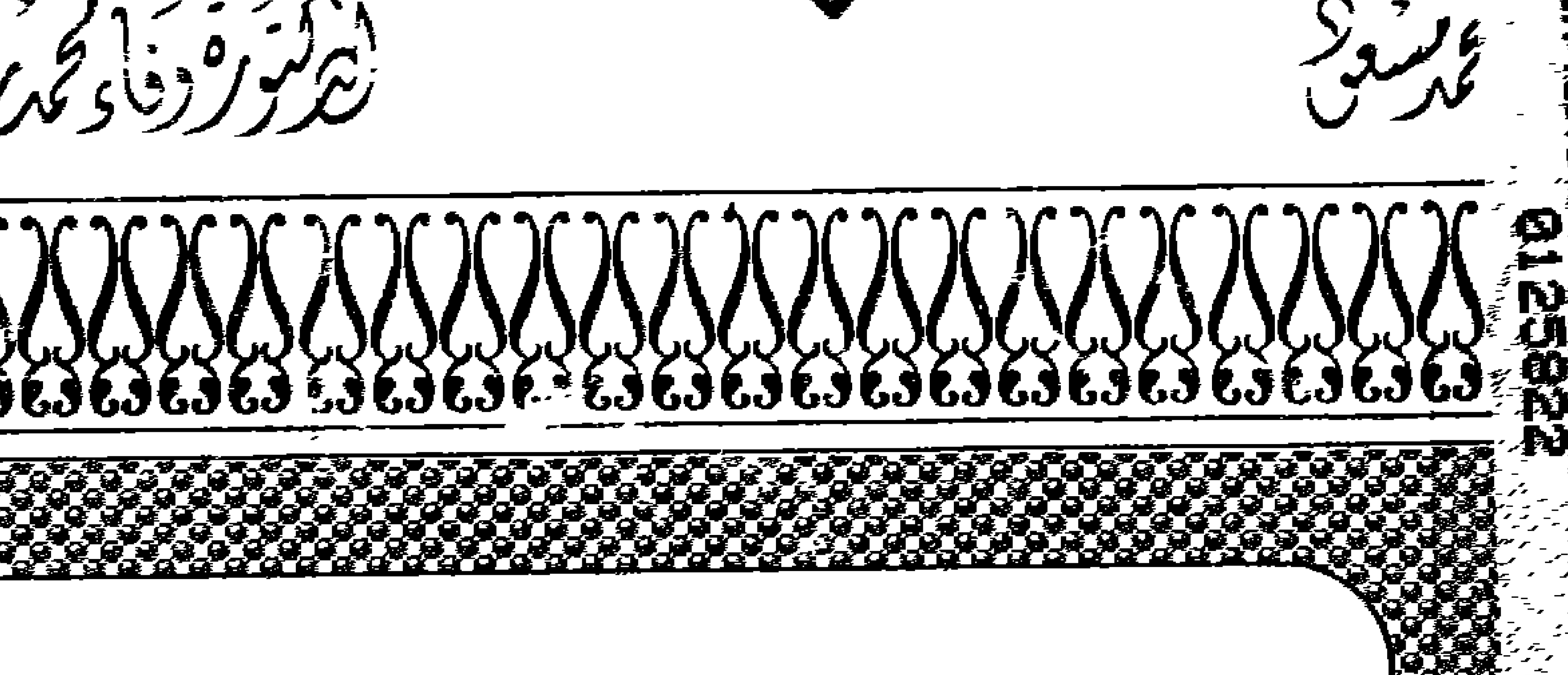
تاريخ الأمة الواحدة

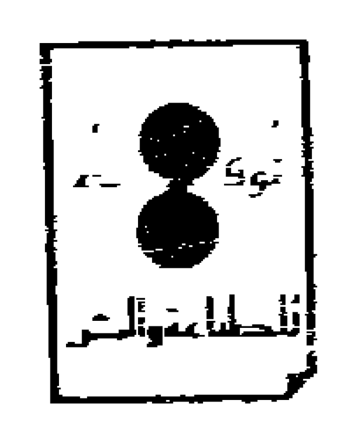
نوح عليه السلام

أول رسول إلى أهل الأرض يدعو إلى الإسلام

إعداد

الدكتور محمد مسعود
الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة





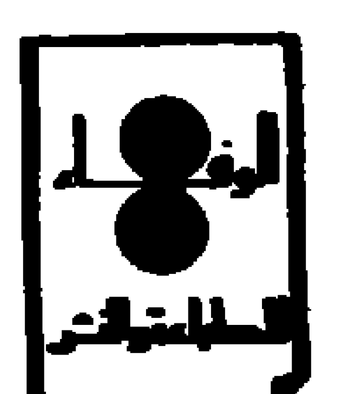
تاريخ الأمة الواحدة

نوح عليه السلام

أول رسول إلى أهل الأرض يدعو إلى الإسلام

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م

الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٢٤٧٢١/ ٣٥٦٢٣٠/ ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص - ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
سلسلة التاريخ الإسلامي
للبراعم المسلمة
[٣]

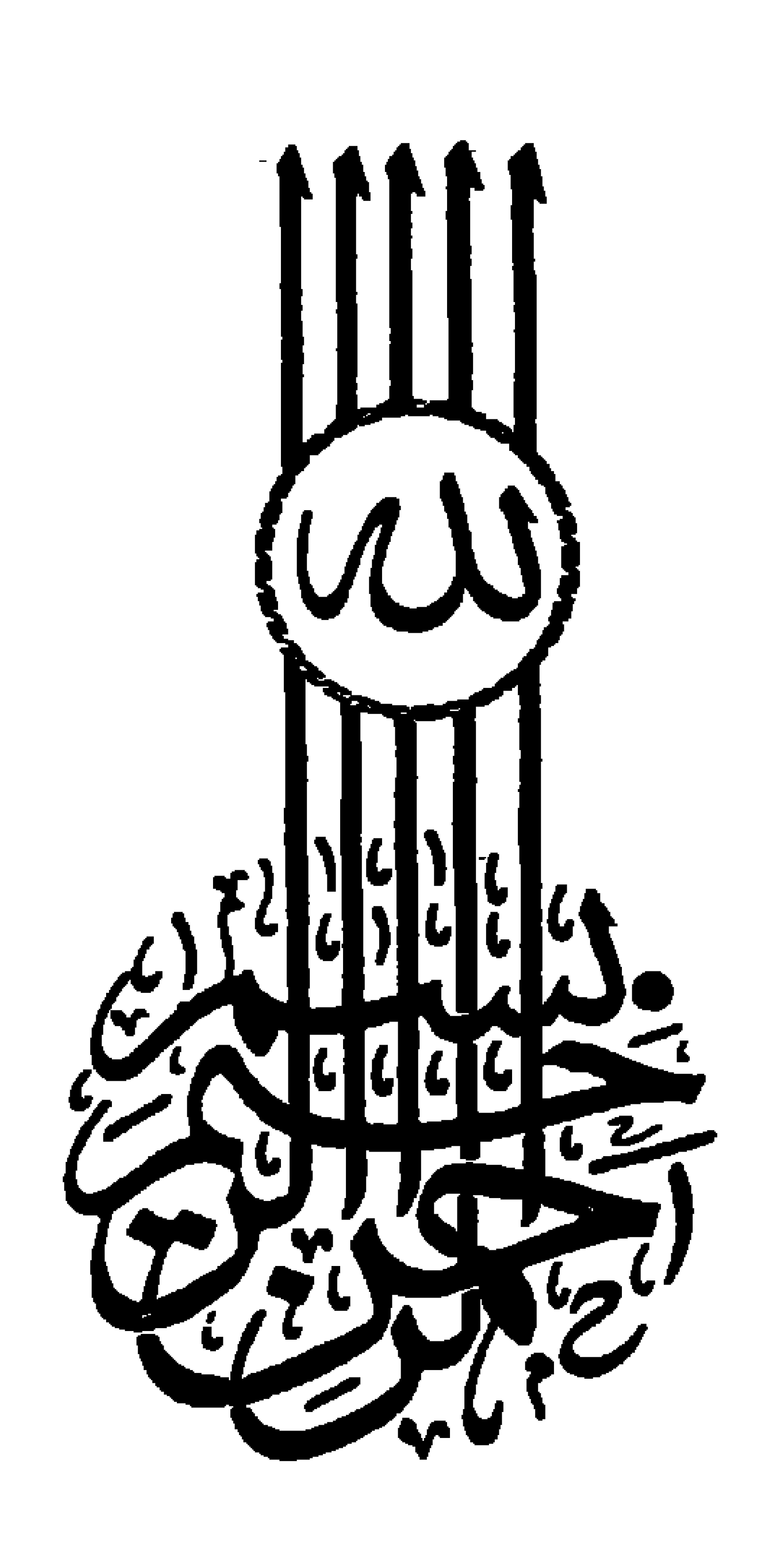
تاريخ الأمة الواحدة
نوح عليه السلام
أول رسول إلى أهل الأرض يدعو إلى الإسلام

إعداد

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة
الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامي
« طالبات » كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م


بسم الله الرحمن الرحيم

بســم الله الرحمن الرحيــم

تقديــم :

تاريخ الأمة المسلمة تاريخٌ عَرِيق ، يَضْربُ بِجُذُوره فِي أعْمَاق الزمن ، فهو يَرتَبِط بالكَوْن المُسلْم الذى خَلَقَهُ الله مُخْتَاراً طائعاً لله ربِّ العالمين ، ويرتَبِط بآدم وزوجِهِ وبَنيهِ ، الذين كوَّنوا أوَّل مُجتمع مسلم على سَطْح الأرض .

والأمة المسْلمةُ (الأمة الواحدة) هى الأمة الشَّاهِدَةُ : ﴿ وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[1] .

ومَنْ عَرفَ تَاريخهُ عرف أن الله ربَّ العالمين هُوالَّذى خَلَقَ هذا الكوْن وما فِيه ، ومَن فيه ، وأنَّ كُلَّ شَىءٍ فيه يَعْرفُ ربَّه وخالِقَهُ .

وعَرَفَ أنَّهُ ينتَسِبُ إلى آدَمَ عليه السـلام ، وأنَّ الله قدِ ارتَضَى لَهُم الإسْلام ديناً ، ..

وعرف أن عَدُوَّهُ الشيطانُ ، شَيطَانُ الإنْسِ وشَيْطَانُ الجِنِّ ، الذى يَحْرِصُ على اجْتِيَالِ بنى آدَمَ عن دِينهم ..

وعرف أن الله قد أرْسَل الرُّسُلَ لاسْتِنْقَاذِ بنى آدم من بَراثِن الشَّيطان ، وأن أوَّل الرُّسُل إلى أهل الأرض هو نُوحٌ عليه السلام ، وآخِرَهُم محمدٌ ﷺ ..

وعرف أنَّهمُ ـ أى جميع الرسل ـ دَعَوْا إلى الإسلام ، وإنْ كَانَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شِرْعَةٌ ومنهاجٌ ..

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

وعرف أنَّ الزَّمن في حِسِّ المؤمن مُمْتدٌّ ، فهو الدنيا والآخرة ، وليْسَتِ الدُّنيا فَحَسْب ، وأن الموت مرْحلةٌ في الطريق ..

وعرف أن البعْثَ حقٌّ ، وأن النَّار حقٌّ ، وأن الجنَّة حقٌّ .

ومن عرف تاريخه عَرَف أن الله ربَّ العالمين خلقه ، وأنَّه قَدْ خَلَقَهُ لِغاية ، وهي عِبَادَةُ الله وَحْدَهُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

وأن مُقْتَضَيَاتِ العُبُوديَّة لِلَّه ربِّ العالمين ، الانقياد الثابت لِمَنْهَجِه سُبْحَانَهُ وتَعالى ، وصراطه المستقيم ، وأنَّ مُقْتَضَيات العُبودية للَّه ربِّ العالمين ، حَمْلُ الأَمَانَة التي أبَتِ السماوات والأرض والجبال حَمْلَهَا ، وأشْفَقْنَ مِنهَا ،

ومِنْ مُقْتَضَيَاتها العملِ المُسْتَمِرُّ في إخراج بنى آدم مِنْ عِبَادَةِ العباد ، إلى عِبَادَةِ الله الواحدِ القَهَّارِ ، ومِنْ ضيقِ الدُّنْيا إلى سَعَةِ الآخِرة ، ومن جَوْرِ الأديان إلى عَدَالَة الإسلام .

ومِنْ مُقْتَضَيَاتِ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ ، إعطَاءُ الوَلاء لِلَّه وَلِرسولِهِ وَلِلْمُؤمنين : ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] .

ومِنْ مُقْتَضياتِ لا إلَهَ إلا اللَّهُ ، رَفْضُ الأفْكَارِ والمَبَادِئ الَّتِي لاَ تَنبَثِقُ عَنْ شَرِيعة اللَّه ..

ومَنْ أدْرَكَ تارِيخ الأمَّة المسلمة أدْرَك أن هذه هي مُهِمَّةُ الرُّسُلِ في الأرض ، وهذه هي غَايَتُهُ في الحياة ، فَحِينَ يُعطي المُسْلِمُ وَلاءه لِلَّه ولِرَسُولِهِ وللْمُؤمنين ، يكُون عَبْداً لِلَّه ، وحِينَ يَحْمِلُ الأمانةَ بِنَفْس مؤْمِنَة ، وعَزِيمَة صَادِقَة ، يكُون عبداً للَّه ...

وحين لا يَقْبلُ هَدْياً إلاَّ هَدْيَهُ ، ولا تَشْرِيعاً إلاَّ تَشْرِيعَ دِينه ، يكُون عبداً لله ...

وحين يَسْتمِرُّ في حَرَكَةٍ دَائمةٍ ، وجِهَادٍ دائب لِيُخْرِجَ النَّاسَ من عِبَادَة العباد

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، يكون عبداً لله ، وإلاَّ فإنه يكون هملاً من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت ، وعبداً لليأس والقنوط ... يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثر بلا دليل : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

إذن فليعلم المسلمون حقيقة تاريخهم ، وطبيعة دينهم ، وليتحرروا من حب الدنيا ، وكراهية الموت ، وليعرفوا الغاية التي من أجلها خلقوا ، وعلى أساسها وجدوا ، حتى ينهضوا بالإسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الداثر ، وعزيمتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز[2] .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام : عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر صفحة ١٣ ، ١٤ .

الدرس الأول

أوَّلُ رسولٍ إلى أهل الأرض

نوحٌ عليه السلام أبو البشر الثانى

يدعو إلى الإسلام

الأب يقول الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عليكُمْ مَقَامِي وتَذْكِيرِى بآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لايكُن أمرُكُمْ عليكُم غمَّةً ثم اقْضُوا إِلَيَّ ولا تُنظِرُون . فإن تولَّيتُم فَمَا سألتُكم مِنْ أجرٍ إن أجْرِى إلا على الله وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِين ﴾[1] .

أبنائى ، بعد عَشرةِ قُرونٍ من وفاةِ أبينا آدمَ عليه السلامَ خَفَتَ نُورُ التَّوحيدِ ، « وفَشا » الشِّركُ باللَّه ، وضَعُفَ سُلْطَانُ الإيمانِ بالله ربِّ العالمين فى قُلُوبِ النَّاسِ ، ونَسِىَ النَّاسُ الإيمانَ باليَوْمِ الآخرِ ، وأسِنَت الحياةُ نتيجةَ بُعْدِ النَّاسِ عن ربهم ودينِهم ،فبعث الله سبحانه وتعالى ــ رحمة بعباده ــ نُوحًا عليه السلام إلى أهل الأرض وهم قَوْمُه ، يَدْعوهم إلى الإسلام .

أسامة : ماهى مُهِمَّةُ الرسُولِ ياأبى ؟

الأب : لقد أجَبْنَا على ذلكَ فى دَرْسٍ سَابق ، يقولُ الله تعالى : ﴿ ولقد بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أن اعبُدوا الله واجْتَنِبُوا الطَّاغُوت ﴾[2] .

فرِسَالةُ نُوحٍ كانت دعوةً إلى إفْرادِ الله وَحْدَهُ بالعبادةِ ، وخَلْعِ مادونه

(١) يونس : ٧١ ، ٧٢ .

(٢) النحل : ٣٦ .

منَ الأَنْدَادِ .

محمود : وبأىِّ لُغَةٍ كان يتكلمُ نوحٌ عليه السلام ؟

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ **وما أرْسَلْنا مِنْ رسولٍ إلاَّ بلسانِ قَوْمه ليُبيِّنَ لَهُمْ** ﴾(1) وقيل إنَّه كان يتكلمّ العرَبيَّةَ (2) ، أى أن مهمةَ الرسُولِ أن يعرفَ الناسَ بربهم الحقِّ ، الذى يَجبُ إفْرادُه بالعبادةِ ، ويُعرفَهم نبيهم الذى يَجبُ أن يَقتدوا بِسنتهِ ويهتَدُوا بِهَدْيِه ، ويُعرِّفَهم بِدينهم (الإسلام) لِيُخضعُوا حياتهم لِنظامِ الله وشَرِيعته .

إيمان : ومَنِ الذى يُكلِّفُ الرَّسُولَ بهذه المُهِمّة .

الأب : اللهُ ربُّ العَالَمينَ يُنَزِّلُ المَلَكَ المُكَلَّفَ بالوَحْيِ - وهو جبريل عليه السلام - بالرسالةِ على الرسول الذى اختَارهُ اللهُ لِحملِ هذا التكليفِ .

أسامة : وهل أى إنْسَانٍ يُمْكِنُ أن يكونَ رسُولاً ؟

الأب : لا يابنىّ ، إن الرسالةَ هى اصطفاءٌ واختيارٌ من الله ربِّ العالمين لشَخْصٍ بعينِه ، يقولُ اللهُ تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الملائكَة رسلا ومِنَ النّاسِ** ﴾(3) .

محمود : إذن مَنْ هُوَ أوَّلُ رَسُولٍ إلى أهلِ الأرضِ يا أبى ؟

الأب : يَبْدُو أنَّك لم تنتَبِه إلى عُنْوَانِ درسِنا ، إنَّه نوحٌ عليه السلام .

إيمان : ومن هُوَ آخِرُ الرسُلِ ؟

الأب : إنَّه مُحَمَّدٌ ﷺ .

أسامة : هل يُمْكنُ أن أسأل : لماذا لم يختَرِ اللهُ رُسُلاً من الملائكة بَدَلاً من بنى

---

(1) إبراهيم : 4 .

(2) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، جـ 1 ، ص 283 .

(3) الحج : 75 .

آدم عليه السلام ؟

الأب : ﴿ **وربك يخلق مايشاء ويختار** ﴾[1] ، وله الخلق والأمر سبحانه وتعالى ، ولعل الله أراد بذلك أن يعطي لبني آدم نموذجاً عمليًا تطبيقيا لإنسان يعرف ربه ، ويعبده ، ويعرف دينه ويلتزم به ، وبهذا يقيم الله الحجة على بني البشر ، أن الإسلام المكلفون به هو في طوق البشر .

أسامة : فهمت ياأبي ، لكي لايقول الناس لله رب العالمين : هذه التكاليف التي كلفتنا بها لانطيقها لأننا بشر ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعطي الناس نماذج لبشر يقومون بتكاليف هذا الدين ، هم الرسل .

الأب : نعم ، أحسنت يا أسامة ، والدليل أن رسول الله محمداً ﷺ يقول الله تعالى عنه : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾[2] .

كما أن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت حكمته إذا نزل الملائكة إلى أهل الأرض ، فإن ذلك يعني أن العذاب واقع لا محالة .

محمود : هل نفهم من هذا ياأبي أنه عندما ينحرف الناس عن عبادة الله وينسون اليوم الآخر ، ويشيع الظلم والفساد في الأرض ، يرسل الله إليهم الرسول ؟؟

الأب : نعم ، تماماً كما وقع لأحفاد آدم عليه السلام ، فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام .

أسامة : انسب لنا نوحاً عليه السلام ياأبي .

الأب : ينسب نوح إلى آدم عليهما السلام ، وهو رسول من أولى العزم ، وهو أول رسول إلى أهل الأرض وهو أبو البشر الثاني .

أسامة : ماهي الصفات التي كان يتصف بها نوح عليه السلام ؟

---

(١) القصص : ٦٨ . (٢) الكهف : ١١٠ .

الأب : كان نوحٌ عليه السلام معروفاً فى قومه ، لا يجهله أحدٌ ، أمينٌ صادقٌ يَصِلُ الأرحامَ ، لايقبلُ الظلمَ ولا يعينُ عليه ، ينهى عن المنكرِ ويأمر بالمعروفِ ، ويعينُ على نوائبِ الحقِّ .

إيمان : اللَّهُمَّ ارزُقنا التَّخلُّق بهذه الأخلاق الحميدة ، لكن هل كان نوحٌ عليه السلام غنيًّا ؟

الأب : لم يكن نوحٌ عليه السلام أغنَى القَومِ ، أو حاكماً فيهم ، ولكن كان أفضَلَهُم ، وكانت فطرتُهُ سليمة لايعبُدُ الطاغوت ، ولا يُشارِكُ فى شيءٍ من مفاسدِ الجاهليةِ من حَولِهِ ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ **إنَّهُ مِنْ عِبادِنَا المؤْمنِين** ﴾[1] .

محمود : كم كان عُمْرُ نوحٍ عليه السلام عندما كُلِّف بالرسالة ...ومَنِ الذى حَمَلَ إليه التكْليفَ ؟؟

الأب : يقول الإمام الحافظُ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية[2] : « واختَلفُوا فى سِنِّهِ يوم بعثَ ، فقيل : إنه كان ابن خمسين سنَةً ، وقيل : ابن ثلاثمائة وخمسين سنةً ، وقيل : ابن أربعمائة وثمانين سنةً » .

والذى حَمَلَ إليه التكْليفُ بالرسالة هو جبريل عليه السلام .

محمود : عُمْرٌ طويلٌ ، إذن كَمْ كَان عمرُه حينما تُوفِّى ، ألف سنة ؟!

الأب : سَنُجِيبُ على ذلك فيما بَعْدُ إن شاء الله .

أسامة : ماهو مَوْضُوع رسالة نوح عليه السلام ؟

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[3] .

إيمان : وهل امتثل نُوحٌ لأمرِ الله ؟

---

(١) الصافات : ٨١ . (٢) جـ ١ ص ١٠١ . (٣) الأعراف : ٥٩ .

الأب : نعم ، وانطلق على الفور يدعو إلى الله ، يقول الله عز وجل : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

أسامة : إذن هي دَعْوَةٌ إلى عِبادَة الله وَحْدَهُ ؟

إيمان : وإلى طاعةِ أوامرِ الله ، وأوامر نَبِيِّه .

محمود : وأن الإنسان لابد وأن يموتَ ، وإنها لَنارٌ أبدًا ، أو لَجَنَّةٌ أبداً ، وأنَّ الذى يستجيب لأمرِ الله سبحانه وتعالى ، يَغْفِرِ له ذَنبَهُ ، ويُبارك له فى عُمْرِه ، كما أنَّه يُدْخِله جنات تجرى من تحتها الأنهارُ ، ويُنَجِّيه من عذابِ النارِ .

الأب : كيف تتصوَّرون مَواقِفَ القَوْمِ ؟

أسامة : لابُدَّ وأنَّهم شكَرُوا اللّه ثُمَّ الرَّسُولَ على هَذا الفَضْلِ العظيم ، والنصيحةِ الطَّيِّبَة ؟

الأب : لا .. يا أبنائى ، إن الذين شكَرُوا الله وآمنُوا به قِلَّةٌ قليلةٌ ، أمّا الكَثْرَةُ الغالِبَةُ ،فقد كانت كَافِرَةً .

إيمان : وهل تَوَقَّفَ نُوحٌ عليه السلام عندما صَادَفَ هذا الصدَّ عن دينِ الله ؟

الأب : لم يَتَوَقَّفْ ، وكَيْفَ يَتوقَّفُ إنسانٌ عن الدَّعْوةِ إلى اللهِ وفيهِ عَيْنٌ تَطْرِفُ ؟! لقد استمرَّ نُوحٌ عليه السلام فى دَعْوَتِهِ و كانت له مَجالِسُ يَدْعُو فيها إلى الله .

أسامة : نُرِيدُ أن نتكلّم فى الدَّعْوَة إلى الله ، كيف كانَ نوحٌ عليه السلام يدْعُو إلى اللهِ فى المَجالسِ ، ماهو الحوارُ الذى كان يجرِى بينَ نُوحٍ وقَوْمِه ، وماهى النتائجُ التى كان يُسفرُ عنها هذا الحوارُ ، وماهو موقف

---

(٤) نوح : ٢ ــ ٤ .

المسئولين ، أصحاب الجاهِ والسُّلْطَان من الدَّعوة إلى اللهِ ؟؟

محمود : نُرِيدُ أن نُتابعَ هذه المجالس تفْصِيلاً ياأبى ، حتى نتعلَّم كيف نَدْعُو ، وإلى أى شيءٍ نَدعُو ، ومَنْ نَدْعُو ، وكيف نتصرّفُ حِيال عِنَادِ الجاهليةِ التى تَرْفُضُ الإيمانَ باللّهِ ربِّ العالمين ؟

الأب : حسَنٌ ، وهذا موْضُوعُ درسنا القادم إن شاء الله تعالى .

الدرس الثانى

نوحٌ عليه السلام

فى مجلس من مجالس الدعوة إلى الله

الأب : وفى أحدِ الأيام جمعَ نوحٌ قَوْمَهُ ، ودَعَاهُم إلى عبادة الله وَحْدَهُ :

﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(١) .

إيمان : سبْحَانَ الله ! يبْلُغ الضَّلَال بالضالِّ أن يتَّهِمَ غيرَهُ بالضلال ! النبي الذى يُرِيدُ أن يَسْتَنقِذَهم من ظُلُماتِ الشِّرْكِ إلى نُورِ التَّوحيدِ يتَّهِمُونَهُ بالضَّلالِ ؟!

الأب : هـذا هُوَ مَوْقِفُ الجاهلية دَوَاماً من دَعْوَةِ الرُّسُلِ ... من الإسلامِ ، ومن الدُّعاةِ إلى الإسلامِ .

أسامة : كان من الضَّروريّ على نُوحٍ عليه السلام أن يَرُدَّ عليهم ويقولَ لهم إنكُمْ أنتم الضَّالُّون .

الأب : لا يا أسامة ، هذا ليْسَ من خُلُقِ المسلمِ ، فالمُسْلِمُ ليس بِسبَّابٍ ولا لَعَّانٍ ، لقد علَّمَ اللَّهُ المُسْلِمَ :

﴿ وإذا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١) .

ونوحٌ رسولٌ مسلمٌ ، ولذلك فقد ردَّ على القَوْمِ ردًّا مُهذَّباً ، يقولُ اللَّهُ تعالى : **﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ ولَكِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ العَالَمِينَ .**

---

(١) الأعراف : ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) الفرقان : ٦٣ .

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّىَ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ . أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٢] .

الأبناء : اللهم صلِّ على نوحٍ فى العالمين ، هذا هو أدبُ المرسلين .

محمود : إذن نُوحٌ عليه السلام عرَّفهم بربِّهم ، ودِينِهم ، وبرسُولهم ، ماذا كان مَوْقِفُ القومِ ؟؟

الأب : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ .

إيمان : لاحَوْلَ ولاقوَّة إلا بالله ، ، ماذا دهى البشرية ، يُكذِّبون رسولَ ربٍّ العالمين ؟!

محمود : هل عاقبهم الله بسبب مَوْقِفِهم ؟

الأب : سوف تعرف النّتِيجةَ بعد استعراضِ مَجَالِسِ الدّعْوةِ التى كان يَعْقِدُها نوح عليه السلام إن شاء الله .

---

(١) الأعراف : ٦١ ـ ٦٣ .

الدرس الثالث

لقاءٌ آخر من لقاءات الدعوة إلى الله

الأب : وفي لقاءٍ آخرَ استمرَّ نوحٌ عليه السلام يدعو إلى الله ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ . وَمَاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ . قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ . وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ . قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ . قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(١) .

إيمان : حِوارٌ عَجيبٌ !

أسامة : مواقِفُ تُنُمّ عن خُطُورَةِ الانحراف الذى أصَابَ فِطْرَةَ القومِ .

محمود : كل ذلك يَحْدُثُ من أقوامٍ ، هم ذُرِّيَةُ قومٍ كانوا بالأمس مسلمين ؟!

الأب : نعم ياأبنائي .

أسامة : ولكن الأمر لم يقفْ عند حدِّ تكْذيب نوحٍ عليه السلامِ واتِّهامه بالضلالة ، بل إنَّهم يُهدِّدُونه بالقتل : ﴿ **لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ** ﴾(٢).

الأب : نعم ياأبنائي ، وهُوَما حَدَثَ مع نبينا محمد ﷺ يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ**

---

(١) الشعراء : ١٠٥ ـ ١١٨ .

(٢) الشعراء : ١١٦ .

يمكرُ بكَ الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يُخرِجوك ﴾[1] .

وهو مايحدثُ مع الدعاةِ في سائر الأزمانِ .

الأبناء : لاحولَ ولاقوةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم ! إذن هذا هو طريقُ أصحاب الدَّعوات ؟

الأب : نعم يا أبنائي .

محمود : ولكن ، هل نوحٌ عليه السلام جبُن وتوقَّف عن دعوته ؟

الأب : لم يتوقف مُطلقًا يا أبنائي ، كيف يخافُ واللهُ هو الذي يرعاهُ ويتولّى أمرَ دعوته ، يقول الله تعالى : ﴿ **أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ** ﴾ [2] .

لقد استمرَّ نوحٌ في إبلاغ دعوةِ ربِّه ، وجلس مع قومه مجلساً آخر يدعوهم إلى الله ، يقول الله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال ياقومِ اعبدُوا اللهَ مالكُم من إلهٍ غيرُه أفلا تتقونَ . فقالَ الملأُ الَّذين كفروا من قومه ماهذا إلاَّ بشرٌ مثلُكم يريدُ أن يتفضَّلَ عليكم ولو شاءَ اللهُ لأنزلَ ملائكةً ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين . إن هو إلاَّ رجلٌ به جِنَّةٌ فتربَّصوا به حتى حينٍ** ﴾[3] .

إيمان : سبحانَ اللهِ ! يتَّهمون الرَّسولَ صاحبَ الدَّعوة بالجنونِ !

الأب : هذا هو الموقفُ الدائمُ للجاهلية من أصحاب الدَّعوات ، يقول الله تعالى : ﴿ **كذلكَ ماأتى الَّذين من قبلِهم من رسولٍ إلاَّ قالوا ساحرٌ أو مجنون** ﴾[4] .

أسامة : يتهمونَهُ بالجنونِ لأنَّه يقولُ لهم : ﴿ **اعبُدوا اللهَ مالكُم من إلهٍ غيرُهُ** ﴾ ؟!

الأب : نعم ، ورغمَ ذلك وقفَ صاحب الدَّعوة كالطود الشَّامخ مُصِراً على إبلاغ دعوةِ ربِّه ليلاً ونهاراً ، سِراً وجهراً ، مُوجِّهاً نظرَ المدعوين إلى

---

(1) الأنفال : ٣٠ .

(2) الزمر : ٣٦ .

(3) المؤمنون : ٢٣ ـ ٢٥ .

(4) الذاريات : ٥٢ .

مَخلُوقَاتِ اللـه فى السّماوات والأرضِ ، وفـي النّفْسِ ، علَّهم يَرْجِعُون ويفيـقُون ويُدرِكون أن لِهذَا الكونْ خـالقا مُتّصِفاً بِكلّ صِفـات الجلال والكمَالِ ، من واجبِ بَني آدمَ إفرادهُ وحْدَهُ بالعبادة ، يقول الله تعالى :

﴿ قَالَ رَبّ إِنِي دعَوتُ قَوْمِـي لَيْلاً ونَهـارا . فَلَمْ يزِدْهُمْ دُعَائِـي إلاَّ فراراً . وإنِي كُلَمَّا دَعَوتُهُم لتَغْفِـر لَهُمْ جعَلـوا أصَابِعَهُم فِي آذانـهِمْ واستَغْشَوا ثيابَهُم وأصروا واستَكْبَروا استِكْباراً ﴾[1] .

إيمان : ياله مِن نَبِي صبُورٍ .

محمود : لأنه رسولٌ من أولى العزْمِ .

أسامة : عَجِيبٌ أمرُ هـؤلاء الكفرةِ ، ويَالـهَا من أعْمالٍ صبيّانيةٍ ، الرسولُ نُوحٌ عليه الـسلام يدْعُو اللَّهَ أنْ يغفـر لـهـم ، وهـم يَضعُون أصابعـهـم فى آذانهم ، لئلاّ يسْمعُوا ! .

محمود : ويَضعون ثـيابهم على رءُوسـهم حتىً لا يَروا الرّسول الـذى أرسَلَهُ الله ليخْرِجهم من ظُلماتِ الشركِ إلى نُورِ الإسلام .

إيمان : ألم يُدرِكُوا أن الكبْرَ يعزِلُ الإنـسان عن رحمة اللـه ، لماذا لـم يَتواضَعوا لله ربِّ العالمين ؟!

الأب : ورغْـمَ كُلّ ذلك يـاأبنـائي استَمرّ نُوحٌ عـليـه السلام يُبَلِّغُ دَعْوَةَ ربِّه ، يقولُ اللـه عز وجلّ : ﴿ ثُمَّ إنِـي أعلَنْتُ لَهُمْ وأسْرَرتُ لَهُمْ إسْراراً . فقُلْتُ استَغفِرُوا ربكُمْ إنهُ كَانَ غفاراً . يُرسِلُ السَّماء علَيْكُم مدْراراً . ويُمْددكُـم بِأمْـوالٍ وبَنِين ويَجعَلَ لَكَـم جنْاتٍ ويَجعَـل لَكُـمْ أنهارا . مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ للهِ وقَارا ﴾[2] .

أسامة : سلامٌ عـلي نـوحٍ فى العـالمين ، رغْمَ كل مـانَزَل به يَدلُّهم عـلى أبْوَابِ الخَير ، وهـى أن إفرادَ اللّه وحـده بالـعِبادةِ والـتـوبةَ مـن الذنـوبِ ،

---

(١) نوح : ٥ ـ ٧ .

(٢) نوح : ٩ ـ ١٣ .

والاستغفار تؤدى إلى فتح أبواب الرزق، وتدفق الأموال، وكثرة الأبناء، وزيادة الغلات ووفرة المطر.

محمود : وهل استجابوا ؟

الأب : لم يستجيبوا، ورغم هذا استمر الرسول نوح عليه السلام يبلغ دعوة ربه : **﴿ مالكم لاترجون لله وقارا . وقدخلقكم أطوارا . ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله أنبتكم من الأرض نباتا . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾**(١) .

إيمان : سبحان الله ! نوح عليه السلام يعرض عليهم دلائل قدرة الله فى كل شيء، فى أطوار خلق الإنسان .

أسامة : وفى خلق السماوات والأرض .

محمود : وفى خلق الإنسان من طين .

الأب : وأن الله سوف يميتهم ويدفنون فى الأرض، ثم يحييهم ويخرجهم منها تارة أخرى .

أسامة : ماذا يعنى القرآن بأطوار خلق الإنسان ياأبي؟

الأب : النطفة ثم العلقة ثم خلق العظام و كساء العظام لحما يقول الله تعالى : **﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾**(٢) .

---

(١) نوح : ١٣ ــ ٢٠ .   (٢) المؤمنون : ١٢ ــ ١٤ .

إيمان : هذا موضوعُ عِلْمِ الأجنَّة اليوم ، أي أنهم كانوا على جانبٍ عظيمٍ من التقدم العلمِي .

أسامة : تقدُّمٌ عِلْميٌّ فَتح الله به عَليهم ، ورَغْم هذا يكْفرُون بالله !!

الأب : وهكذا تُشاهدُون ياأبنائى أن القَوْمَ كانوا على جانب كبير من التقدُّم العلْمِيّ ، وفَتَحَ الله عليهم أبْوابَ النعيم ،نعْمةَ المالِ ، ونعْمَةَ الجنَانِ ، ونِعْمَةَ الأولاد ، ونعْمَةَ طُولِ الأعمارِ ، ورغم هذا نَسُوا المُنْعِمَ ، وكَفَروا بنِعمه ، ورَفَضُوا الانْصياعَ لأمْرِهِ ، والاستِسْلامَ لِشَرْعِهِ .

محمود : تماماً كما هُو واقعٌ فى عالَمِنا المعاصر ..

الأب : نعمِ يا أبنائى ، فالإنسان قَدْ فَتح اللَّهُ عَلَيْه من أبواب التَقَدُّم العلْميِّ الشَّيءَ الكَثِيرَ ، وأعْطَاهُ من النِّعَمِ مَالا يَسْتَطِيعُ الإنْسَانُ شُكْرَ اللَّه عليها ، رغم هذا نَجد البشرية منها مَنْ يَكْفُرُ باللَّهِ ، ومنها من يَسْتَخْدِمُ هذه النِّعَمَ فى الصَّدِّ عن سَبِيلِ اللهِ ، ومُحَارَبةِ دِينِ اللهِ .

الأبناء : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ! ..

إيمان : سؤالٌ يا أبى : ماهو الفَرْقُ بين النُّور والسِّراج ؟

الأب : وضِّحى السؤال .

إيمان : الله يقول : ﴿ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** ﴾[1] ؟

الأب : هذه ظاهرة عِلْمِيَّةٌ لم يَعْرِفهَا العَالَمُ إلاَّ فى عَصْرِنا ، بينما كَشَفَ عنها القُرْآنُ الكريم منذ خمسةَ عشرَ قَرْناً ، وهى أنَّ القَمرَ يستَمِدُّ نُوره من الشمْسِ ، فالشَّمسُ مُضيئةٌ في نَفْسِها كالمِصْباحِ الذى به الوَقُودُ .. والقَمرُ يستمدُّ نورَه من الشمسِ ، وهذه ظاهِرةٌ عِلْمِيَّةٌ تدُلُّ على تقدُّمِ القَوْمِ فى مَجَالِ الفَلَكِ ، يستخدمُها نوحٌ عليه السلام لِيُعَرِّف

---

(١) نوح : ١٦ .

الناسَ بربِّهم عن طريق عَرْضِ آياته في الآفاقِ .

أسامة : بعد هذا العرضِ الرائعِ لِدلائلِ قُدرةِ اللَّهِ في خَلْقِ الكَونِ ، هل استَجابَ القَوْمُ وآمَنُوا ؟

الأب : رغم هذه الأدلَّةِ الدَّامغَةِ على صِدْقِ رَسُولِ الله نُوح عليه السلام ، رَفَضَ القَوْمُ الإيمانَ باللهِ ربِّ العالمين .

الأبناء : نَشْهَدُ جميعاً أن نُوحاً رَسُولَ اللَّهِ ، قد بلَّغ الرِّسَالَةَ وأدَّى الأمَانَةَ .

الأب : بَارَكَ اللَّهُ فيكُم ، وأُمَّةُ مُحمَّد صلى الله عليه وسلم هي التي تَشْهَدُ يومَ القِيامَةِ لنُوحٍ عليه السلام بأنه قَدْ بلَّغَ ؛ لأن قَوْمَهُ سوفَ ينكِرون بَعْثَتَه ورِسَالَتَه .

محمود : ألم يكتَفِ نُوحٌ عليه السلام بالبَلاَغ الَّذي قَامَ به ؟

الأب : تَقْرِيباً ، ولذلك نجدُهُ قبل أن يَتَقَدَمَ بشكْوَاه إلى ربِّ العالمين ، التي دَوَّن اللَّهُ تعالى خَبرَهَا :

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا . وَقَالُوا لاَتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَتَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلاَتَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً ﴾(1) .

وقبل أن يتقدَّم بشكْوَاه ، واصَلَ نُوحٌ دَعْوَتَه يُعرِّفُ النَّاسَ بربِّهم وبرسولهم ، يُخَوِّفُهم اليومَ الآخرَ ، يومَ الحسَاب والجزَاء : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَن لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾**(2).

---

(1) نوح : ٢١ ـ ٢٤ .

(2) هود : ٢٥ ـ ٢٧ .

إيمان : عَجِيبٌ أمرُ أعداءِ الإسلام ، الشُّبهات التي يَسُوقُونها ، لِيقفُوا في وجهِ الإسلام ، شُبهاتٌ واهِيَةٌ ، وهي دائماً مكْرُورَةٌ .

أسامة : وهم غير مَوْضُوعيِّين ، الرَّسُول يقُولُ لهم : اعبُدُوا خالقَكُم ، وخالقَ الكَوْنِ من حَوْلِكُم ، ورازقَكُم ، وهي أدلة واضحةٌ وضُوحَ الشَّمس في رابِعَةِ النَّهارِ ، فَيَتجاهَلُونها ، وينحرِفُون بالمُناقشَةِ إلى قضايا جَانِبيةٌ ، فَهم يتهِمُونَ الرسُولَ عليه السلام بأنه بَشرٌ .

محمود : ما أفَظعَ جهلَهم ! ألم يَعلَمُوا أن الرسولَ لابُدَّ وأن يكونَ بَشَراً كما أرادَ اللّهُ ، لِيرى النَّاسُ القُدْوَةَ والنموذَجَ في صاحِبِ الدعوةِ ، ليرَوْا أن التكْليفَ الرَّبَّاني يُطيقُه بَنُو آدم عليه السلام ؟!

الأب : ولهذا ردَّ عليهم الرسُولُ نوحٌ عليه السلام كما يَقُولُ ربُّ العالمين :
﴿ أوَ عَجِبتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

وبدلاً من أن يُذْعِنَ القَوْمُ لِدَعْوَةِ رسُولِهم ، ردُّوا ردّاً آخر ، وهو أن أتباعَهُ الذين أسْلمُوا لله ربِّ العالمين هم من الأرَاذِلِ ، أي فُقَراء ولَيْسوا سَادةً أو أغنياء .

إيمان : هل وَصَلَ المُجْتَمعُ من أبناءِ المسلمين إلى هذه الدرجة المتدنِّيَة من التفكير ، يعتَبِرونَ الفُقَراءَ الذين أسْلمُوا لله ربِّ العالمين سبباً يَمْنَعُهم من الإسلام ، وأصبحت الأفضلية عِنْدَهُم لصاحِبِ الجَاهِ والسُّلْطَان ، ماأشَدَّ فسَادَ فِطْرَتِهم ! هل نَسُوا أن اللّهَ لايزنُ الإنسان بماله ، أو علْمِه ، أو مركزِهِ ، يقُول اللّه تعالى : **﴿ إنَّ أكْرَمَكُم عِندَ اللّه أتْقَاكُم ﴾**(٢) .

الأب : نعم ياأبنائي ، بل إنهم اقْتَرَحُوا على نوحٍ عليه السلام أن يَطْرُد الذين آمنو من الفُقَراء ، من مَجلسِهِم ، إذا أراد أن يَسْتَمعُوا منه .

---

(١) الأعراف : ٦٣ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

أسامة : هل استجاب نوحٌ عليه السلام لرَغبتهم ؟

الأب : لم يَستَجب ، وردَّ عليهم ردّاً حاسماً ، يقول الله تعالى : ﴿ وما أنا بطَارِدِ الذين آمنُوا إنَّهُمْ مُلاقُو ربِّهِم ولكنِّي أراكُم قوْمًا تجهلُون . ويَاقَوْم من ينصُرُني من اللّه إنْ طَرَدتُهم أفلا تذَكَّرون . ولا أقُولُ لكُم عندي خزائنُ اللّهِ ولا أعْلَمُ الغيْبَ ولا أقُولُ لكُمْ إني مَلَك ولا أقُولُ للذين تَزدَرِى أعيُنكُم لن يؤتِيَهُمْ اللّه خيْراً اللّهُ أعلم بمَا فى أنفُسهم إني إذًا لمِنَ الظَّالمين ﴾[1] .

إيمان : يالَهُ من نبيٍّ صبُورٍ .. تسعمائة وخَمْسُون عاماً يُعاني من الصَّدِّ والرَّفْضِ لدين الله !

أسامة : ياله من نَبِيٍّ متواضع ، يالهُ من نبيٍّ حَليم عَاقلٍ !

محمود : إنَّه مُجتَمع يَستَحِقُّ العقابَ .

الأب : بل إنَّهُم استَعْجَلُوا الهلاكَ فقالوا : ﴿ يَانُوحُ قَدْ جَادلْتنَا فأكْثرْتَ جدالَنَا فأْتنا بمَا تعدُنَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادقِين ﴾[2] .

إيمان : يَستَعجِلون العذَابَ .. ياَلطيف ... يالَطيف ..

أسامة : وهل أنْزَلَ اللّهُ عليهم العذَابَ ؟

الأب : لقد كان نوحٌ عليه السلام مُهذَّباً ، لقد أعْلَمَهم أن هذا ليس فى طَوْقه ، إنَّما هذا أمرٌ مَوْكُولٌ إلى الله ربِّ العالمين :

﴿ قَالَ إنَّما يأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إنْ شاءَ ومَا أنْتُمْ بمُعْجزِين ﴾[3] .

محمود : نعم ، من يُعْجِزُ اللّهُ ربَّ العالمين ! مَنْ يَقِفُ أمام عَذابِه وعقابه !

الأب : إن الكَثْرَةَ مِنْ أبناء المسلمين تصوَّرُوا ذلك .

أسامة : وماذا حَدَثَ بعد ذلك ياأبى ؟

---

(١) هود : ٢٩ ـ ٣١ . (٢) هـ : ٣٢ . (٣) هود : ٣٣ .

إيمان : إجْرامِيّةٌ ! هل قَتَلُوا أحداً ؟

الأب : وهل هُنالك جُرْمٌ أعْظَمُ من الشِّرْكِ بالله ربِّ العالمين ؟!

يقول الله عزَّ وجل :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1] .

اللهُ ربُّ العالمين هو الذى وصَفَ كُفْرَهُم بربهم وتكْذِيبَهم لرسوله بأنّه جرْمٌ .

محمود : ماذا حَدَثَ بعد ذلك ؟

الأب : هذا هو موضوع حديثنا القادم إن شاء الله .

---

(١) هود : ٣٥ .

الدرس الرابع

نُذُر الله لقوم نوح عليه السلام قبل الطوفان

الأب : مِن سُنَنِ اللـه فِي حياة الأمم النُّذُرُ ، لعلَّ الأمَمَ تفيقُ وتَرْجعُ إلى ربِّها ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(1).

محمود : وماهي النُّذُر التى أنْذَر الله بها قَوْمَ نُوحٍ عليه السلام ؟

الأب : لقد مَنَعَ اللَّهُ عنهم القَطْرَ ، وعمَّ القحْط البلادَ ، وقلَّ نَسْلُهم .

إيمان : وماذا فعلُوا بَعْدَ ذلك أمَامَ هذه الكَارِثة ؟

الأب : ذهبوا إلى نُوحٍ يَسْتغيثُون به !!

أسامة : سُبْحَانَ اللَّهِ ! ماذا قال لهم نوحٌ عليه السلام ؟

إيمان : مِمَّا لاشكَّ فيه أنَّه تركَهُم يُواجهون المصيرَ الذى يَلِيقُ بأمثالِهم .

الأب : لا ياأبنائى ، إن اللـه رحيمٌ بعبَاده ، وعلَّم رُسُلَهُ بأن يكُونوا رُحَماء بالناسِ ، ولهذا فَقَدْ قَدَّم لهم رسُولُهم نوحٌ نصيحةً لو أخذوا بها لَحُلَّتْ مشاكلُهم ، بل إنها نصيحةٌ لِكلِّ الأجيالِ مِن بَعْدِهم ، لكل مَنْ يُواجِهُ جَفَافاً وقحْطاً وقِلَّةً فى النَّسْلِ .

---

(1) الأنعام : ٤٢ ـ ٤٥ .

محمود : بماذا نصحهم ؟

الأب : يقول الله تعالى :

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[1] .

إيمان : إذا قلَّ المطرُ ، وهلكَ الزرعُ ، وقلَّ النسلُ ، نلجأُ إلى الله ، نفرده وحده بالعبادة ، ونخلع مادونه من الأنداد، ونقلعُ عن الذنوب ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونتضرعُ إليه ، ونتذلَّل بين يديه ، يفتح علينا أبوابَ السماءِ بالرزق والخيرِ والبركة .

أسامة : هل هذا مفتاحُ حلِّ مشاكلِ العالم الاقتصادية ؟ ولكن لماذا لا نفعلُ نحنُ ذلك ، وخاصةً أن مشاكلنا كثيرةٌ ، وتراكمتْ علينا الديونُ وأصبحْنا نستوردُ الغلالَ بعدَ أن كنَّا نمونُ بها أوربا .

الأب : هذا صحيح ، وكان من الواجب أن نلجأَ إلى الله كما علَّمنَا نوحٌ عليه السلام ، ولكن شياطينَ الإنس والجنِّ حريصونَ على عدمِ حلِّ هذه المشاكلِ ، لأنهم لا يريدون لأمتنا أن ترجعَ إلى ربها وإسلامِها .

الأبناء : لاحولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله ! إن ذلك لن يكلِّفهم شيئاً ، ولكن صدق الله القائل :

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾[2] .

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾[3] .

الأب : تماماً ، وهذا هو الذى منعَ قومَ نوحٍ من الاستجابة لنصيحة نبيهم الكريم ، وبدلاً من ذلك ذهبوا يستفتون الجهَّال أعداءَ الله وأعداءَ دينه من أصحاب الجاهِ والسلطان ، وبطانة السوء ، يسألونهم عن الحلِّ

---

(١) نوح : ١٠ ـ ١٢ . (٢) الروم : ٥٣ . (٣) فاطر : ٢٢ .

فأضلوهم ، يقول الله عز وجل :

﴿ قَالَ نوحٌ ربِّ إنَّهُمْ عصوني واتَّبعُوا من لَّم يزِدْهُ مالُه وولدُهُ إلاَّ خساراً . ومكرُوا مكراً كُبَّاراً . وقالُوا لاتذرُنَّ آلهتكُمْ ولاَ تذرُنَّ ودّاً ولاَسُواعاً ولاَيغوثَ ويعُوقَ ونسْراً وقدْ أضلُّوا كثيراً ﴾(١) .

محمود : أي أنَّهم تركوا النَّاصحَ الأمينَ ، الذي ما ينْطقُ عنِ الْهوَى ، الذي يهتدِي بهدى الله ، إلى غيرِه من شياطِين الإنْسِ والجنّ .

الأب : وهكذا ترونَ ياأبنائي أن انحِرافَ القَوْمِ لم يقتصر على عبادَةِ الأصنامِ فقط وإنّما تعدّتها إلى اتخاذِ السّادةِ والكُبراءِ أرباباً من دونِ الله ، يُحلّون لهم ، ويحرّمون عليهم حَسبَ أهوائهم ، بل ويعرضونهم للمعاناة والهلاكِ ، في الدنيا والآخرة .

الأبناء : لاحولَ ولا قوّة إلاَّ باللهِ ! ألم يخشَ أُولئكَ يوماً يرجعُون فيه إلى الله ثم توفى كلُّ نفسٍ ماكسبت ؟

الأب : حتىَّ هذه رفضُوا التَّصْديق بها ، يقُولُ الله تعالى :

﴿ وإنْ تعْجبْ فعجبٌ قوْلُهُمْ أئذَا كُنَّا تُراباً أئنَّا لفِي خلْقٍ جديدٍ ﴾(٢) .

أسامة : سُبْحان الله ! يُنكِرُون البَعْثَ واللهُ يقول :

﴿ أوليْسَ الَّذِي خلقَ السَّماوَاتِ والأرْضَ بقادرٍ علَى أنْ يخلُقَ مثْلَهُمْ بلَى وهُوَ الْخلاَّقُ العلِيمُ . إنَّما أمرُهُ إذَا أرادَ شيْئاً أنْ يقُولَ لَهُ كُنْ فيكُونُ ﴾(٣) .

أحمد : عجيبٌ أمرُ هؤلاءِ المشركين .. يسمعُون كلامَ الفسَقَةِ والمُجرمين وأصْحاب الجاهِ والسلطانِ ، أعوانِ الشيطان .. ويرفُضُونَ نصيحة النبي الكريم ، ويعرِضُون عن هدْيِ ربِّ العالمين ، ويتآمرُونَ على النبي الكريم ، ويمكرون به !

---

(١) نوح : ٢١ ـ ٢٤ . (٢) الرعد : ٥ . (٣) يس : ٨١ ، ٨٢ .

الأب : هذا هو موقِفُهُم الدائمُ من دعوةِ الإسلام على مدار العصُور والأزمان .

الدرس الخامس

الطُوفانُ

الأب : يقول الله رب العالمين : ﴿ **وأُوحى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَن فَلاَتَبْتَئِس بِمَا كَانُوا يَفْعَلُون . وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِين ظَلَموا إِنَّهُمْ مُغْرَقُون** ﴾[1] .

أسامة : ياوَيْلَهُم .

محمود : أَلم يُحذِّرْهُم رَسُولُهُمْ من عِقابِ الله ؟

الأب : لقد حذَّرهم نَبِيُّهُم ، ولكنهُم جَحدُوا و كذَّبوا وأصروا على كُفْرِهم .

أسامة : إنّهُم يَسْتَحِقُّون كلَّ مايَنْزِل بهم من عِقَابٍ .

إيمان : مُجْتَمَعٌ يستحِقُّ أن يُهْلِكَهُ الله .

الأب : على كُلٍّ لقد أمر الله نُوحاً عليه السلام بصِنَاعَةِ السفينةِ بتوجيهٍ منه سبحانه : ﴿ **وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ .

أسامة : سُبْحانَ الله ! يُرْسِلُ الوَحْيَ لِيُعَلِّم نُوحاً صناعة السفينة ؟!

الأب : نعم .

محمود : ولكن لماذا قام نوحٌ بِصِنَاعَةِ السفينة ؟

أسامة : لكي يقُومَ بعَملِ رِحْلَةٍ يدعو الناس إلى الإسلام .

الأب : اصْبِروا يا أبنائي .. وانْطَلَقَ نُوحٌ عليه السلام يُنَفِّذُ أَمْرَ ربِّه ، يصنَعُ السفينة ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِه**

---

(١) هود : ٣٦ ، ٣٧ .

سَخِرُوا منهُ قَالَ إنْ تَسْخَرُوا منَّا فَإنَّا نَسْخَرُ منكُمْ كمَا تَسْخَرُون . فَسوْفَ تَعلَمُونَ مَن يأتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ويَحِلُّ عَلَيْه عذَابٌ مُقِيمٌ ﴾[1] .

أسامة : لاحَوْلَ ولا قُوة إلاَّ بالله ! ألم يكْفِهِم مااقْتَرَفُوه من آثام، فأكملُوها بالسُّخْرِية من الرسولِ الكريم ؟!

الأب : هذا هو سُلُوكُ أعداء الإسلام مع حَمَلَةِ هذا الدِّين فى كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

أسامة : ولكن لماذا لم يُهْلِكْهُم اللّهُ جميعاً ، ويُريحَ نُوحاً والمسلمين معه مِنْ شرِّهم ؟

الأب : إنَّ الله لايَعْجلُ لعجلَةِ أحَدِكُم .

أسامة : ولكن ردَّ نُوحٍ عليه السلام ردٌّ مُفحمٌ ، يقُولُ الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنْ تَسْخَرُوا منَّا فَإنَّا نَسْخَرُ منكُمْ كمَا تَسْخَرونَ . فَسوفَ تَعلَمُونَ مَنْ يأتِيه عذَابٌ يُخزِيهِ ويَحِلُّ عَلَيْه عذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ .

الأب : نعم ياأبنائى ، من يسْخَر هُنا ، يُسْخَرُ منه هُناك .. ومن يضْحَكُ هُنا يَبْكِى هُناك ، ومن يَبْكِى هُنا يَضْحك هُناك ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ أجْرَموا كَانُوا مِنَ الَّذينَ آمَنُوا يَضْحكُون ، وَإذَا مرُّوا بِهِم يتَغَامَزُونَ . وَإذَا انْقَلَبُوا إلَي أهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فكِهِينَ . وَإذَا رأوْهُمْ قَالُوا إنَّ هؤُلاَءِ لَضَالُّون ومَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافظِينَ . فالْيَومَ الَّذينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحكُونَ ﴾[2] .

محمود : وماذا بعد ذلك ؟!

الأب : يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمل فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَينِ اثْنَينِ وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيل ﴾[3] .

---

(1) هود : ٣٨ ، ٣٩ . (2) المطففين : ٢٩ ــ ٣٤ . (3) هود : ٤٠ .

محمود : سُبْحَان الله ! وما آمَنَ معَهُ إلاّ قليل ؟ كَمْ ياأبى ؟

الأب : عَشرةٌ على أصحِّ الأقوال !!!

أسامة : لاحَوْلَ ولاقُوة إلا باللّهِ ! تسعمائة وخَمسُونَ عاماً تُسْفِرُ عن إسْلام عشرةٍ فقط !!

الأب : نعم ، وقد أمَرَهُم اللّهُ بقوله سُبْحانه : ﴿ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

إيمان : لماذا بِاسْمِ الله ؟

الأب : لأن كلَّ عَمَلٍ لايبدأ باسم اللّهِ فَهُو أبْتَرٌ .

محمود : وذلك يعنى أن السَّفِينَةَ تسيرُ باسْمِ الله .

الأب : نعم ياأبنائى ، وجاء الوقت الذى حَدَّدَهُ ربُّ العَالَمِين ، وأتمَّ نوحٌ عليه السلام صناعةَالسفينة :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾(٢).

أسامة : ولكنَّ نُوحاً لم يَدْعُ طِيلة الألف سنة إلاّ خمسين عاماً بِمِثْلِ هذه الدعوة ؟!

الأب : لأنَّه كما يَقُولُ ربُّ العالمين : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾(٣) .

محمود : وهل استجابَ اللَّهُ على الفورِ ، أم أنَّهُ أجَّلَ الإجابة ؟

الأب : واسْتجَابَ اللّهُ ، يقُولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ :

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾(٤) .

---

(١) هود : ٤١ .
(٢) القمر : ١٠ .
(٣) القمر : ٩ ، ١٠ .
(٤) القمر : ١١ ، ١٢ .

أسامة : وماذا فَعَلَ أَصْحَابُ نُوحٍ المؤمنون وأَهْلُه ؟

الأب : لقد دعا لهم نوحٌ عليه السلام :

﴿ وَنَجِّنِي وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

واستقل نُوحٌ عليه السلام وَمَنْ معه من المسلمين الفُلْكَ بعد أن حَمل فيها من كُلِّ المخلوقاتِ زَوْجَين اثنين .

لقد ركبوا جميعاً سَفِينَةَ النَّجَاةِ الربّانية ، يقول الله عزَّ وجل:

﴿ وهِـــيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَه وكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾[2] .

محمود : ولكن ابن نُوحٍ عليه السلام لَمْ يَرْكَبْ معَه ، أَكانَ كافراً ؟

الأب : نعم .

الأبناء : لاحَوْلَ ولاقُوةَ إلا بالله !

محمود : لماذا لم يُكرِمْه اللّهُ مِنْ أَجْلِ أبيه ، الرسول الكريم ، ويُنْجيهِ مِنَ الغَرَق ؟

الأب : كيف يُكْرِمُ اللّهُ شابّاً كَفَرَ به ، ولم يَشْهد أن الرسُولَ حقٌّ ، الله سبحانه وتعالى يَقُول :

﴿ إنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[3] .

أسامة : ماذا قالَ نُوحٌ لابنه يا أبي ؟

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاتَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾[4] .

محمود : ومما لاشكَّ فيه أنه استجاب لِنداءِ أبيه ، خَاصَّةً وأن الطوفان قد بدأ يغْمُرُ الأَرْضَ ، ويُعرّضُ حياتَهُ للغرقِ ؟

---

(1) الشعراء : ١١٨ .

(2) هود : ٤٢ .

(3) النساء : ١١٦ .

(4) هود : ٤٢ .

الأب : لا يا أبنائى ، لقد أصرَّ الغُلام على كُفْرِه ، رَغْمَ نَصيحَةَ والدِه الرسولِ الكريمِ ، ورغْمَ تعرّضِه للخطرِ الفعْلى ، لقد عانَدَ وكَابر ، وقال كما يُخْبِرُ اللَّهُ سبحانَه وتعالى : ﴿ **قَالَ سآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الماءِ** ﴾[1] .

إيمان : مُمْكِنٌ لو صَعدَ أعلَى الجَبَلِ لا يَصلُ إليه الماءُ ؟

الأب : هذا وَهْمٌ يابُنيَّة ، لقد غَمَرَ الماءُ كُلَّ شىءٍ بما فى ذلك قِمَمُ الجِبَال ، إنه الطُّوفَانُ ، إنَّه من جُنْدِ الرحمن الذين لا يَقِفُ أمامهم شَىْءٌ ، ونَبَّه نوحٌ ابنه كما يقول الله تعالى :﴿ **قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَومَ مِنْ أمْرِ اللَّهِ إلاَّ مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْموجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِين** ﴾[2] .

محمود : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّه .

أسامة : إنه يَسْتَحِقُّ الْغَرَقَ .

إيمان : هذا جزاءُ مَنْ يكْفُر بالله ..

أحمد : ولكنه ابتلاءٌ قاسٍ لِنُوحٍ عليه السلام .

الأب : نعم إنَّهُ ابتلاءٌ نَسْأَلُ اللَّهَ أن يَأجُرَ نُوحًا فى مُصيبَتِه ، وأن يُبدِلَهُ خيراً منها .

محمود : وَلكن هل تحرَّكت مَشَاعِرُ نُوحٍ عليه السلام وهُوَيرى ابْنَهُ بَيْنَ المُغْرَقِين ؟

الأب : نعم ، تحرَّكت مَشَاعِرُ الأُبُوَّة بعد أن توقَّف الطُّوفانُ .

أسامة : ومتى توقَّفَ ؟

الأب : بعد أن طهَّرَ اللَّهُ بِهِ الأرض مِنَ الذين كَفَرُوا بالله وبالرسول ، ورفَضُوا الدُّخُولَ فى دِينِ الإسلام ، وعَبَّدُوا النَّاسَ لأنفُسهم وأطْمَاعِهِم ، وعطَّلُوا تَشْرِيعَاتِ اللَّه ، وأهْدَرُوا الحدود التى يُؤدِّى تَطْبِيقُها إلى حماية

---

(1) هود : ٤٣ .

(2) هود : ٤٤ .

أعراض النَّاسِ وأموالِهم ، وحرَّموا الحلال ، وأحلُّوا الحَرَامَ ، كالرِّبا ، والخمرِ ، والمَيْسرِ ، والزِّنا .. وبعد أن توقَّف الطُّوفَانُ بأمرِ الله ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢] .

واستجابت الأرضُ والسَّمَاءُ لأمر الله — الذي يقُول للشَّيء كُن فيكُونَ ، وابتلعت الأرضُ الماءَ ، وتوقَّفَتِ السَّمَاءُ عن صَبِّ الماء ، ورَسَتْ سَفِينَةُ نُوحٍ عليه السلام وبها المُسْلِمون الذين آمنوا بالله ربّاً ، وبِنُوحٍ رَسُولاً ، وبالإسلام دِيناً .

الأبناء : نَعْلَمُ أن الله على كلِّ شيءٍ قَديرٌ ...

الأب : ورَسَتْ سَفِينةُ نُوحٍ عليه السلام ومَنْ مَعَهُ من المؤمنين الموَحِّدين على جَبَلٍ بأرضِ العِراقِ يُسَمَّى الجُودىّ : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ﴾ .

أسامة : ماذا قال ياأبى ؟

الأب : اصبر يابُنَيّ .. يقُولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ ﴾[١] .

محمود : وهل استَجَابَ اللَّهُ لِطَلَبِ نُوحٍ ؟

الأب : لم يَسْتَجِبْ لِطَلَبِه ، بل علَّمه درساً مُفيداً له ولَنَا بني البشرِ ، يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾[٢] .

أسامة : كيف ؟ إنَّه ابنهُ !

الأب : لماذا المقاطَعَةُ يابُنَيّ ؟

---

(١) هود : ٤٥ .

(٢) هود : ٤٦ .

محمود : لأنه من ظَهْرِه ، من صُلْبِه ياأبي ؟

الأب : نعم ياأبنائي ، لقد بيَّنَ اللَّهُ السَبَبَ في الآية ، لأنّه كان مُشْرِكاً باللهِ ربِّ العالمين ،ولذلك قَطَع اللَّهُ العَلاقَةَ بَيْنَ نوحٍ الرسول المسلم ، وابنِه المُشْرِك .

أسامة : سُبْحَانَ اللَّهِ !

محمود : إنها قيمٌ جَدِيدَة يُرْسِيها اللَّهُ في حَيَاةِ بَني آدَمَ ، إنه يُؤَكِّد للرسول ﷺ أن الرَّابِطَةَ التي يجب أن يَجْتَمع عليها النَّاسُ هي رابِطَةُ العقيدة ، رابِطةُ الإيمان ، رابِطَةُ الإسلام ، فإذا انقطعت هذه الرَّابِطَةَ فلا رَابِطَةَ غَيرَهَا ، ولقد وَعَى نوحٌ عليه السلام التوجيه الربَّاني ، ووَعَاهُ جميعُ الأنبياء والمرسَلين ، وبَقِيَ علينا نحنُ أن نَعِيَ الدرسَ ، يقول الله تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(1) .

إيمان : ماذا فعل نوحٌ عليه السلام عندما سَمِعَ التَّوْجِيه الربَّاني ؟

الأب : فَعَلَ كما يَفْعَلُ كلُّ المسلمين لله ربِّ العالمين ، يقول الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(2) .

أسامة : هذا مَقَامُ العُبُودِيَة لله ربِّ العالمين ، الذي يَلِيقُ بِنَبِيٍّ ورَسُولٍ من أولي العَزْمِ .

الأب : نعم ، ولذلك فقد عفَا اللَّهُ عَنْهُ وقال : ﴿ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(3) .

محمود : معنى ذلك أن اللَّهَ قد أغرقَ الكَافِرين واستَأْصَلَ جُذُورَهُم من الأرض ،

(1) المجادلة : 22 . (2) هود : 47 . (3) هود : 48 .

وفى هذا تحذيرٌ للكافرين من مصير كمصيرِ قوم نوح ؟

الأب : نعم ، يقول الله تعالى : ﴿**فأغرقناهم أجمعين**﴾[1] .

محمود : هذا جزاء الكفرِ بالله .

إيمان : وهذا جزاءُ من رفض نصيحةَ رسول الله .

أسامة : هذا جزاءُ من سخر من رسولِ الله ودين الله ....

أحمد : هذا جزاء المتآمرينَ على دينِ الله .

الجميع : الحمدُ للهِ الذى نجّى نوحاً والمؤمنين من القوم الظالمين .

إيمان : لمدةِ كم من السنواتِ ظلّ نوحٌ عليه السلام يدعو قومَهُ ؟

الأب : يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿**ولقدْ أرسلنا نوحًا إلى قومهُ فلبثَ فيهمْ ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسينَ عامًا**﴾[2] .

إيمان : ياله من نبى صبورٍ .. جزاهُ اللَّه خيراً عن أمة الإسلام .

أحمد : لقد ذكرتَ فى درسٍ سابقٍ ياأبى أن الله سبحانه وتعالى قال لنوحٍ عليه السلام : ﴿**قلنا احملْ فيها من كلٍ زوجينِ اثنينِ وأهلَكَ إلاَّ من سبقَ عليهِ القولُ**﴾[3] . ما المقصودُ بمنْ سبقَ عليه القولُ ؟

الأب : سؤالٌ دليل على اليقظةِ والانتباه ياأحمد ... إن الآية ياأبنائي تحكي ابتلاءً آخر تعرضَ له نوحٌ عليه السلام ...ابتلاءٌ فى زوجهِ التي أشركت بالله ربِّ العالمين ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**ضربَ اللَّهُ مثلاً للذيـــن كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ كانتا تحتَ عبدينِ من عبادنا صالحَيْنِ فخانتاهما فلمْ يُغنيا عنهما من اللَّهِ شيئًا وقيل ادخُلا النّارَ مع الدَّاخلين**﴾[4] .

---

(1) الأنبياء : ٧٧ .
(2) العنكبوت : ١٤ .
(3) هود : ٤٠ .
(4) التحريم : ١٠ .

الأبناء : لا حَوْل ولا قُوَّةَ إلا بالله ! ... اللهم إنَّا نسألُك العَفْوَ والعافيةَ... الحمدُ لله الذى عَافَانا مما ابْتلىَ به الكَثِيرِين من عِبَادِه .

أسامة : ما معنى خَانَتَاهُما ؟

الأب : ليست هــذه الخِيَانةُ التـى تَحْـدُثُ من الزَّوْجَة لِزَوْجِها ، فَنِسَاء الأنبياء مُنَزَّهاتٌ عـن ذلك ، وإنّما هى خيانَة الشِّرك بالـله ربِّ العالمين ، لقد رَفَضَت الاسْتِجَابةَ لدِعْوَةِ نُوحٍ عليـه السلام ، وأصرَّت على الكُفْرِ بالله ربِّ العالمين .

محمود : وهل زوجة لُوطٍ عاشت فى نَفْس العَصْرِ ؟

الأب : لا يابُنَىَّ ، زَوْجَةُ لُوطٍ كـانت تَعيـش فى عَصـرٍ لاحِق لِعَصْرِ نُوحٍ عليه السلام ، والله قد قَرنَ بَينَهُما لأنَّهما نَمُوذَجَان مُتَشابِهان ، كلاهُما كَفَر بالـله ربِّ الـعالمين ، ولم يُغْنِ عنهما أنـهـمـا زَوْجَتَان لِرسُولَيْن كَرِيمَيْن ، فَهلَكَتا بِعَذابِ الله مع الهالكين .

الأبناء : لا حَـوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللـه !.. الـلهم يامُقَلِّبَ القُلُوب والأَبْصَارِ ، ثَبِّت قُلُوبَنا على دِينِكَ ياالله .

إيمان : هل طلب نوحٌ عليه السـلام من ربِّ العالمين أن يَرحَم زَوْجَتَهُ كما فَعَل فى حالة ابنه ؟

الأب : لم يفعل ، لقد استفَادَ من الدَّرْسِ الذى لقَّنه له الله ربُّ العالمين ، حينما اسْتَجَارَ به لإنْقَاذِ ابنه : ﴿ **إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ .

لقد تَعلَّم أنَّ مِنْ مُقْتَضَيات لا إله إلا الـله ، المُوَالاة فى الله ، والمُعَادَاةُ فى الله ، ولَمَّا كان ابنُه مُشْرِكاً ، فقد توجب عليه معاداته ، وعدم الاستغاثة بالـله من أجلـه ، ولما كانت زوجُه مُشْرِكـةً فقد توجّب عـدم الاسْتِغَاثةِ بالله من أجلها .

أسامة : سؤالٌ آخر ياأبى : ما هى الأَزْواجُ التى حَمَلَها نوحٌ عـليه السـلام فى

السفينة ؟

الأب : كما يقول المُفَسِّرون : كُلٌّ أزواجٍ من الأحياء ، سواء من النباتات أو الحيوانات أو غَيْرِهَا من الأحياء التي كانت تعيش على سطح الأرض : ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوجَينِ اثْنَيْنِ ﴾[1] .

محمود : ولكن كَيْفَ يَحْمِلُ نُوحٌ الحيوانات المُفْتَرِسَة والحشَرات دُون أن تُؤذيَهُم ؟

الأب : إنَّه أمْرُ الله سبحانه وتعالى ، الذى خَلَقَ الخَلْقَ وينقادُون لأوامِرِه ، وعلى كُلٍّ لقد حَفِظَ اللّهُ نوحاً ومن مَعَه من كُلِّ سُوءٍ .

إيمان : هذا دليلٌ على رحمة الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنهُ لَو لَمْ يَحْدُث ذلك لَهلكتِ النَّباتَات وأشْجارُ الفَاكِهَة .

أسامة : ولهلكتِ الحَيَوانات الأليفَة التى نأكُلُ لَحْمَها ، ونَلْبسُ جِلدَها .

محمود : ولَمَاتَتْ الحيوانات المفترِسَةُ التى تعيشُ فى الغابات وتَقْضِى على الحشرات الضارَّة .

الأب : وكُلٌّ ذلك يدل على فضل الله على العباد. وللحديث بقية إن شاء الله ..

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

---

(١) هود : ٤٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ (كتب الصحاح) .
- الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٩٦٦ م .
- تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، دار الفكر ، بيروت .
- فى ظلال القرآن : لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة .
- مختصر صحيح مسلم : للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن سلامة المنذرى الدمشقى ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامى ١٣٩٥ هـ .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : للحافظ ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) ، عاون فى إخراجه وطبعه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرسالة التدمرية : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الثالثة ، الطبعة السلفية ، القاهرة .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطابع المجد التجارية .
- قصص النبيين : لأبى الحسن الندوى .
- شرح العقيدة الطحاوية : حققها وراجعها جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، دمشق .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مكتبة الرياض الحديثة ، المملكة العربية السعودية .
- رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التوحيد .
- الإيمان ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه : لمحمد نعيم ياسين ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ .
- تربية الأولاد فى الإسلام : للشيخ سعيد حوى .
- أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء : د . جمال عبد الهادى محمد وزوجته د . وفاء محمد رفعت .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ٢٠٣٢ / ١٩٩١

I.S.B.N. 977 - 15 - 0026 - 0

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت . ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هذه السلسلة

* تقاس الأمم بتاريخها ، وما قدمته فى الماضى ، وما تعيشه فى الحاضر ، وما تأمل فى المستقبل .. ومعرفة الأمة لتاريخها يبعث على النهضة ودقة التخطيط نحو الأفضل دائما إذا كانت الأمة جادة فى هذه المعرفة .

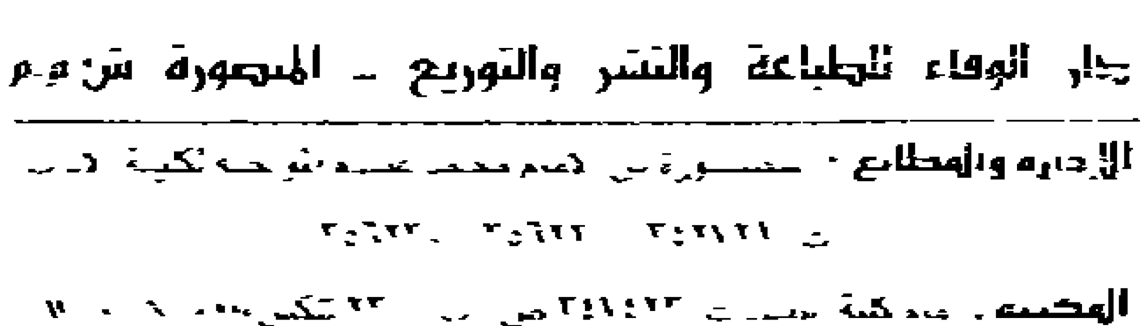
والأمم التى تعمل على الأخذ بأسباب التقدم والرقى لابد أن تنشئ أبناءها وتربيهم على معرفة تاريخها ، بل هو من أهم ما تجب معرفته .

* وإذا كان ذلك كذلك فإن تنشئة الأجيال المسلمة بالتعرف على تاريخ أمتهم المسلمة لمن أهم ما يجب أن يعرفوه ، وينشأوا عليه ، ففى تاريخ أمتهم المسلمة ما يدعو إلى الفخر والإعزاز ، ويدفع إلى التقدم والرقى ، والأخذ بأسباب العزة والتمكين ، ونشر العدل بين الناس جميعا .

* من هنا كانت هذه السلسة للبراعم المسلمة من أبناء أمتنا الإسلامية لتوقفهم على تاريخهم العريق الذى يضرب بجذوره فى أعماق الزمن ، ويربطهم بالكون المسلم ، وبأبيهم آدم عليه السلام وزوجه وبنيه الذين كونوا أول مجتمع مسلم على سطح الأرض ويصل بهم إلى خاتم رسله محمد ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله عليهم — وبالتالى يعرفون الغاية التى خلقوا من أجلها والتى تأخذ بأيديهم على أن ينهضوا بالإسلام من جديد ليكون الدين كله لله .

* **ودار الوفاء** إذ تقدم هذه السلسلة للبراعم المسلمة تسأل الله أن يعم بها النفع وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الناشر



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

تطلب جميع منشوراتنا من

دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت. ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٢٤٦٠٦

